رابعاً : مناقشة شعائر النصارى وطقوسهم

obeikandl.com

obeikandl.com

رابعاً: مناقشة شعائر النصارى وطقوسهم

تعد النصرانية فقيرة في تشريعاتها وأحكامها، والعناية الكبرى فيها بالروحانيات التي أهملها اليهود حينما أفرطوا في ماديات الحياة، وهذا ما يؤكد أنها تكملة لأديان بني إسرائيل [١]، وقد عبر أحد العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية عن ذلك بقوله: ليس للنصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات، والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر بواح.. وأي شيء استحسنوه بعقولهم شرعوه وحكموا به [٢]. وقد كان النصارى الأوائل يوجبون على أنفسهم ما أوجبته التوراة والإنجيل، ويحرمون على أنفسهم ما حرمته، ولا يستثنون من ذلك إلا ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله، واستمروا على ذلك حتى رفع المسيح حيث أخذ بعد ذلك دعاة النصرانية يغيرون ويبدلون في التشريع حسب أهوائهم وكان حجتهم في ذلك جذب أكبر عدد ممكن من الأُمّيين إلى الدخول في النصرانية[٣]، ولذلك فغالب الشعائر والطقوس النصرانية اليوم من وضع بولس، ولا ينكر دور المجامع في الإلغاء أو الإضافة فيها، ثم

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٨٩/١).
(٢) المصدر نفسه (٢٩٠/١).
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٤١/١ - ٣٤٤).

لما أثبتت العصمة للبابا صار له الحق في إصدار القرارات والأحكام، ما تسرب للنصرانية من طقوس وعبادات وثنية انتقلت إليها من المناطق والشعوب التي امتدت إليها النصرانية في عهودها الأولى [١] ومما يجدر ذكره أن الطقوس والشعائر النصرانية المبتدعة كثيرة جداً، وتناول العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لها ليس على سبيل الحصر، وإنما أمثلة توضح تحريف النصارى لديانتهم وابتداعهم فيها وبطلان ما استندوا عليه من إثباتها وقال القرطبي في مقدمة مناقشته لبعض عبادات النصارى وطقوسهم: غرضنا من هذا الفن أن نجمع مسائل من قواعد أديانهم، ونبين فسادها، وأنهم ليسوا على شيء فيها، بل تركوا نصوص التوراة والإنجيل وعملوا لخلافها من غير حجة ولا دليل [٢]، وفيما يلي عرض لبعض جهود علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية في مناقشتهم لبعض عبادات النصارى وطقوسهم [٣].

١ – المعمودية:

المعمودية أو التعميد شعيرة من شعائر النصرانية لا يقبل إيمان نصراني إلا بها وهو عند النصارى يعني الغطس بالماء باسم الأب والابن وروح القدس إشارة إلى التطهير من أدران الخطيئة بدم المسيح[٤]. وقد حل التعميد عند النصارى محل الختان في اليهودية

(١) موقف ابن تيمية من النصرانية (٧٦٤/٢).
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٢.
(٣) دعوة المسلمين للنّصارى (٢٩١/١).
(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٤٠.

[١]، ومستندهم فيه قول المسيح عليه السلام: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس [٢]، وإن يوحنا عمد المسيح في وادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة من الماء [٣]. ومن علماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا المعمودية لدى النصارى القرطبي، حيث وضح صفتها عند نصارى الأندلس بقوله: إن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منهم تتقدم الأقسة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أياماً ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره، وقد اختلفوا هل يغطسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثاً؟ فإذا خرج من ذلك الماء دعا له الأسقف بالبركة ووضع يده على رأسه [٤]، ثم بين القرطبي بعد ذلك أنه ربما اختلفت صفتها، لكنها عندهم عبادة مؤكدة ومن لا يقبلها عندهم فهو كافر[٥]. ثم أبطل القرطبي هذه المعمودية التي ابتدعوها على النحو التالي:

- أنه لم يرد ذكرها في التوراة ولم يشرعها الله لنبيه موسى عليه السلام.

- أن مستند النصارى في هذه المعمودية هو فعل يحي عليه السلام والحواريين، فإذا صح ذلك من يحي والحواريين فلِمَ لا يكون

(١) دعوة المسلمين للنصّارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٢/١).
(٢) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (١٩/٢٨).
(٣) دعوة المسلمين للنصّارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٢/١).
(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٣.
(٥) المصدر نفسه ص ٤٠٣.

خصوصية لهم؟ وإن قلتم أيها النصارى إنه ليس بخصوصية فأتوا بالدليل ولن تقدروا[١].

وزاد القرافي على ذلك بقوله: ولو سلمنا عموم سرعيتها فَلِمَ زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس، أو النفخ في الوجه ولم يُنقل ذلك عمن تقدم منكم؟ ولِمَ تكفرون مخالفيها من غير دليل [٢]؟

- وبين القرطبي أنه لعل يحي والحواريين عمدوا الناس لأن ماءهم كان مقدساً ودعاءهم متقبلاً، فيحي نبي والحواريون أنبياء بزعمكم أيها النصارى، أما أنتم فَلِمَ تعمدونهم؟ فلستم أنبياء وماؤكم ليس مقدساً فلستم إذن مثلهم [٣].

- وناقش كل من القرطبي والقرافي النصارى في أصل المعمودية لديهم، هل كان عيسى عليه السلام قبل أن يعمده يحي مقدساً أم لم يكن؟ فإن كان مقدساً فلا فائدة من فعل يحي، ولماذا لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد؟ وإن كان غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس إلهاً أو ابن إله[٤] ؟! ثم ختم القرافي مناقشته للنصارى في مسألة المعمودية بقوله: وهل هذا كله إلا هذيان، وضرب من الخذلان؟ وهذا - أي المعمودية - على أظهر أحكام شريعتهم وأقواها مستنداً فكيف بأضعفها [٥].

٢ – الاعتراف وصكوك الغفران:

(١) المصدر نفسه ص ٤٠٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٠٥ دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٤/١).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٠٥ دعوة المسلمين للنّصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٤/١).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٤/١).

الاعتراف في النصرانية يعني أن يأتي المذنب ويعترف بخطاياه وذنوبه أمام القس أو الكاهن في الكنيسة ثم يمسحه هذا الكاهن فتغفر ذنوبه[١]، وقد استخدمت الكنيسة في أوروبا الغفران من الذنوب وسيلة من وسائل التشجيع على الحروب الصليبية ضد المسلمين سواء كان ذلك في المشرق أو في الأندلس [٢]، ومن علماء عصر الحروب الصليبية الذين ناقشوا هذه القضية القرطبي إذ وضح أنه لابد للمذنب ليغفر له من كفارة، وتلك الكفارة بحسب ما يظهر لقساوستهم ويرونه موافقاً لغرضهم، فتارة يوجبون على المذنب خدمة الكنيسة، وتارة لا يدخلها بل يقف عندها متذللاً، وتارة يوجبون عليه مالاً لملكهم، أو لهم ولكنائسهم [٣]، ثم ضرب القرطبي أمثلة على بعض الذنوب وما شرعه قساوستهم لغفرانها منكراً عليهم أن يجعلوا أنفسهم مشرعين وينزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين في التشريع والغفران، على الرغم من أن كثيراً من هذه الذنوب له حكم في التوراة التي يؤمنون بها[٤]ووضح القرافي أن قسس النصارى أنزلوا أنفسهم منزلة الله سبحانه وتعالى في غفران الذنوب، وهم بهذا الابتداع الذي هو من عند أنفسهم يبعثون العصاة على المجاهرة ويشيعون الفاحشة وينشرون الفضيحة في الذراري والأعقاب، وأي مفسدة أعظم من هذه [٥] ؟! ثم ذكر القرافي مشاهدته لذلك وآثاره في المدن الصليبية النصرانية كعكا وغيرها من سائر مدن

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٩.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٤/١).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٥.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٥/١).
(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٧.

obeikandl.com

النصارى[١] وبين الجعفري أن هذه البدعة لدى النصارى وسيلة للتحكم في حال المذنب وماله لصالح أكابرهم، ثم أبرز خطرها على الشخص وعلى المجتمع بإشاعة الفاحشة ونشر الفضيحة، مختتماً ذلك بالإشارة إلى أن هذه البدعة لا أصل لها في شريعة أو نص عليها موسى، لكنها مختلقة من جهلة مشايخ النصارى [٢].

٣ – أعياد النصارى:

أعياد النصارى كثيرة جداً، فكل حدث ذو أهمية بالنسبة لهم يعظمونه ويحتفلون به، ثم يتحول لدى الأجيال اللاحقة إلى عيد يحتفل به إحياءً لذكراه، فابتدعوا لذلك أعياداً كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان وفي فترة الحروب الصليبية كان الاحتفال بهذه الأعياد وغيرها منتشراً بين النصارى، بل وربما شاركهم بعض المسلمين فيها ففي الأندلس مثلاً كان من أعياد النصارى عيد ميلاد عيسى عليه السلام والمحدد بالخامس والعشرين من شهر ديسمبر، ويناير سابع ولادته، ويوم ختنه وهو أول السنة الميلادية، والعنصرة والذي يعتقد أنه يوم مولد يحيي بن زكريا عليه السلام ويوافق اليوم الرابع والعشرين من يونيه، وخميس إبرايل الذي يرمز عند النصارى إلى يوم صلب المسيح في اعتقادهم [٣] وفي معرض مناقشة كل من الجعفري والقرافي لأعياد النصارى عدّدا أهمها ومنها:

- عيد ميكائيل في مصر وتخومها، وكان النصارى في فترة

(١) المصدر نفسه ص ١٢٧.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٥/١).

(٣) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين د. محمد إبراهيم بن صالح أبا الخيل ص ٤٤٣ - ٤٤٤.

الحروب الصليبية تحتفل به وتعظمه، وسبب إحداث هذا العيد أنه كان في الإسكندرية صنم يعظمه أهلها، ويعدون له عيداً عظيماً، فولي بطركة الإسكندرية الأكصيدروس فرام إبطال هذا العيد فلم يقدر من العوام فصرفهم لذلك بأن يجعلوا هذا العيد لميكائيل الملك وليس للصنم، فيذبحون له ذبائحهم ليشفع لهم عند الله فأجابوه لذلك [١].

- وعيد الصليب وسبب إحداثه: أن اليهود اتخذوا المقبرة التي دفن فيها الشبه مزبلة يطرحون فيها الأوساخ تحقيراً لشأن المصلوب، فأقامت على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة إلى أن جاءت زوجة قسطنطين الملك فأمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا هي ثلاثة صُلُب وهي صليب اللعين والشبه فقالت: كيف لنا أن نعلم خشبة ربنا التي صلب عليها؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الوفاة فوضع عليها الصليب الأول فلم يقم، فأمسته الثاني فلم يقم، فأمسته الثالث فقام فعلمت النصارى أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك [٢].

- ومن أعيادهم التي ذكرها القرطبي: يوم بشارة جبريل مريم بالمسيح، ثم يوم ميلاده، ويوم ختنه، ويوم الفصح وهو قيامه من القبر، ثم يوم رقيه إلى السماء، وبعد ذكر الجعفري والقرافي لبعض أعياد النصارى وضحا أن لا أصل لها في شرعهم البتة، وأنها مما أحدثوه وابتدعوه في دينهم [٣]ثم بين الجعفري أن لا حجة لإبطال البدعة ببدعة مثلها، وذلك أن هذا الراهب أراد أن يبطل تعظيم العامة

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ص ١٣٠.
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ص ١٣٠.
(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٥٩٨/٢).

لهذا الصنم فابتدع عيد ميكائيل، حيث قال: والشيء الضعيف لا يزيده الأمر الباطل إلا ضعفاً والحق مستغن بنفسه عن أن يقوى بأمثال هذه الترهات[1]، وأشار كل من الجعفري والقرافي إلى أن الأولى للنصارى أن يمقتوا الصليب لا أن يعظموه ويتخذوا له عيداً وذلك أنه صلب عليه إلههم بزعمهم وإن كان هذا التعظيم من أجل أن الصليب مس المسيح فلماذا لا يعظم النصارى الحمر ويسجدوا لها فقد أخبر لوقا أن المسيح ركب حماراً عند دخوله المدينة [2].

وبين القرطبي أن هذه الأعياد التي يعظمها النصارى ليست واجبة بالشرع وإذا كان هذا مستندهم فمن أخبرهم من الأنبياء بأن مثل هذه الأحوال تتخذ عيداً إذ ليس في كتبهم شيء من ذلك، ثم إن أيام عيسى كلها شريفة فلا يخلو يومُ له من كرامة يكرمه الله بها، فإذا كان الأمر كذلك فعلى النصارى أن يبحثوا عن أيام عيسى وعن عددها ويتخذوها أعياداً، وإلا لِمَ خصصوا البعض وتركوا البعض الآخر[3].

٤ – صلاة النصارى وصيامهم:

أ – الصلاة:

من العلماء المسلمين الذين ناقشوا شعيرة الصلاة لدى النصارى القرافي الذي ذكر أن عدد صلواتهم في اليوم والليلة ثمان صلوات حيث أورد الأدعية التي يرددونها في كل صلاة منتقداً لها ومبيناً

(١) المصدر نفسه (٥٩٨/٢).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٠ - ١٣١.
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٢٥.

تناقضها [١]، وقد أورد الجعفري أيضاً طرفاً من أدعيتهم في بعض صلواتهم مبيناً تناقضها وفسادها بما بما تقتضيه من عقيدة التثليث والصلب والخطيئة وغير ذلك من عقائدهم الباطلة [٢]، والصلاة عند النصارى في زعمهم تقربهم إلى الله عن طريق المسيح وهي عبارة عن أدعية وترانيم يرددونها ويؤكدون على بعض الأوقات أكثر من غيرها وهي صلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار، عند بداية الليل ونهايته وعند تناول الطعام [٣].

ب – الصوم:

والصوم عند النصارى - يعني الامتناع عن الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب حسب مقدرة الصائم يتناول بعدها الصائم أطعمة خالية من الدسم الحيواني [٤]، وفي مناقشة العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية لصيام النصارى وضحوا أصل وجوبه عندهم ثم ما ابتدعوه فيه زيادة ونقصا، حيث بين كل من القرطبي والقرافي في مناقشتهما لذلك أن صيام النصارى حسب قول أحد أكابرهم أنه أربعين يوماً وهي التي صامها موسى عليه السلام ثم صامها المسيح وجعلها علماء النصرانية ثلاثة وأربعين يوماً عُشر أيام السنة كما وضع لهم ذلك بولس [٥]. ثم يوضحان أن هذه الأيام الثلاثة التي صاموها زيادة على

(١) النصارى في الوقت الحاضر لا يلتزمون في صلواتهم بأدعية معينة وربما حكي القرافي ما كان سائداً في وقته عند بعضهم.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٢٩٩/١).

(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٢٩٩/١).

(٤) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٢٨.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٢٢.

obeikandl.com

ما افترض عليهم، إما أن الأنبياء تركوا أمر الله سبحانه وتعالى بعدم صيامها وذلك محال، أو أنهم لا يعرفون وجوب صيامها وأنتم أيها النصارى الذين علمتم ذلك وهذا محال لأن الأحكام إنما تُسند إلى أقوال الأنبياء وكتبهم والذي شرع لكم ذلك إنما هو بولس، وهو الذي أفسد عليكم دينكم فكيف تأخذون بقوله وتتركون فعل موسى وعيسى وإلياس وغيرهم [١] ؟!، وبيّن الجعفري نماذج من زيادات النصارى، وابتداعهم في صيامهم ومن ذلك زيادتهم جمعة في صيامهم الكبير[٢]، لأجل هرقل حينما قتل اليهود نصرة لهم وذلك تكفيراً لخطيئته[٣]، ثم عقب على ذلك بقوله: ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين، وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقاً[٤]، وأشار الجعفري إلى ترك النصارى أكل اللحم في صيامهم وتحريمه وذلك مما أحدثوه بالرأي بعد المسيح [٥].

٥ – تشريع النصارى في الزواج:

ترغب الأناجيل عموماً بالعزوبة وتدعو إلى الزهد وترك الزواج إلا من خاف على نفسه الزنا فله الزواج بواحدة فقط، يقول بولس:... إذا من زُوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن [٦]. وقال: فحسن للرجل ألا يمس امرأة [٧] وقال:.. ولكن أقول لغير المتزوجين

(١) المصدر نفسه ص ٤٢٢ - ٤٢٣.
(٢) النصرانية والإسلام، محمد عزت طهطاوي ص ٨٢.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٠٢/١).
(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٥٩٧/٢).
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٠٢/١).
(٦) الكتاب المقدس، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس الإصحاح (٣٨/٧).
(٧) المصدر نفسه (١/٧).

وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا [١]وأما القسيس والرهبان فمحرم عليهم الزواج اقتداءً بالمسيح بزعمهم [٢]، وقد ناقش بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية مسألة الزواج عند النصارى ومنهم الجعفري والقرافي وكان ذلك على النحو التالي:

أ- بيان ضلالهم في ذلك وأن الأمر بترك الزواج مما لا يصح نسبته إلى المسيح.

ب- إن ما تمسك به النصارى من نصوص في الإنجيل ظاهرها الترغيب بترك الزواج من أجل الله كقول المسيح عليه السلام:... من ترك زوجة من أجلي، فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة [٣]. ولا يجوز إجراؤه على ظاهره، إذ المقصود من ذلك - إن صح - ترك الزوجة إذا طلبت فراقه لعجزه أو لأي سبب آخر [٤]. ثم إن في الإنجيل أيضاً نصوصاً تعارض ذلك منها قول المسيح: إن الذي زوجه الله لا يقدر أحد على تفريقه[٥]وقوله: من طلق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا [٦].

ج- والزواج سنة المرسلين وخواص الأولياء ودأب النجباء

(١) المصدر نفسه (٨/٧ - ٩).
(٢) قصة الحضارة، ول ديوانت ترجمة محمد بدران (٣٨٣/٤).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢ الإصحاح (٢٩/١٩) إنجيل متى.
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢.
(٥) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٠٣/١).
(٦) المصدر نفسه (٣٠٤/١).

obeikandl.com

الأقوياء، ومن رغب عن سنة الأنبياء التحق بالأغبياء [١].

د- إن في ترك الزواج سداً لباب الذرية الصالحة وقطعا للتناسل وانقراضاً لجنس الآدميين.

هـ- إن في تركه تعريضاً للرجال والنساء للزنا والفساد، والوقوع في الآثام.

و- إن الزواج يشتمل على قربات كثيرة منها إعفاف الزوجين والتسبب في حياة عبد صالح يعبد الله ويُرغم الشيطان، وغير ذلك[٢]. ثم يعقب القرافي موضحاً أن المنافع المترتبة على الزواج أفضل مما انقطع له الرهبان من العبادة والصلوات [٣].

٦ – مناقشة النصارى في تركهم الختان:

كان الختان معروفاً قبل زمن إبراهيم عليه السلام، فإن المصريين القدماء كانوا يختتنون [٤]، وقد جاء في إنجيل برنابا ما يدل على أن أصل فريضة الختان منذ ابتداء الخليقة [٥]، وقد نصت التوراة على أن إبراهيم أمر بالختان هو ونسله، فختن وهو ابن ثمانين، وجاء في السنة ما يدل على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**» [٦]، وصار الختان في اليهود فرضاً من الفروض

(١) المصدر نفسه (٣٠٤/١).
(٢) المصدر نفسه (٣٠٤/١).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٣٢.
(٤) معجم الحضارات السامية ص ٣٨١.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٢.
(٦) البخاري رقم ٣٣٥٦ مسلم رقم ٢٣٧٠.

الدينية فاختتن موسى عليه السلام وكذلك عيسى عليه السلام لإكماله شريعة التوراة، بل إنه لدى النصارى صلاة يؤدونها تذكرة لختان عيسى عليه السلام [١]، وقد استطاع بولس أن يصرف النصارى عن سنة الختان حتى اتخذوا قراراً بتركه في مجمع أوشليم المنعقد بعد رفع المسيح بثنتين وعشرين سنة [٢]، والحجة في ترك الختان جلب الأمم الوثنية في ذلك الوقت من إغريق ومصريين ورومان في الدخول بالنصرانية وكان يشق عليهم الختان [٣] وفسروا الأمر بالختان في التوراة بأنه نقاوة القلوب وصفاء النية وذهاب الغلوف من القلوب [٤]، ومن ضمن ما ناقشه العلماء المسلمون من تشريعات النصارى في فترة الحروب الصليبية إبطالهم سنة الختان، إذ بين القرطبي أن هذه السنة ثابتة بالتوراة، وإبطال النصارى لها لا أصل له ثم وضح أنهم بذلك تركوا ما حكم الله اتباعاً للهوى، ثم كذبوا على الله بتفسيرهم الختان المأمور به في التوراة بأنه إزالة غلوفه القلوب، وتسفيههم أحكام الله لقولهم إنه لا فائدة من الختان، ثم شرح القرطبي فوائد هذه السنة بكونها عبادة لله سبحانه، والنظافة المترتبة على القيام بها إذ وجود هذه الغلفة مدعاة لتراكم كثير من الأقذار إلى غيّر ذلك [٥].

وبعد أن بين القرافي مشروعية الختان في اليهودية وعند

(١) نظرية النسخ في الشرائع السماوية ص ٥٠.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى في عهد الحروب الصليبية (٣٠٦/١).
(٣) المصدر نفسه (٣٠٦/١).
(٤) المصدر نفسه (٣٠٦/١).
(٥) المصدر نفسه (٣٠٦/١).

النصارى وضح أثر بولس في إبطال هذه السنة[١]، وبعد أن ذكر الجعفري مشروعية الختان في التوراة وأن تاركه يقتل قال: فقد وضح كفر من خالفه من النصارى وغيرهم، وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان، ولم يزل النصارى يختنون بعد رفع المسيح إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم بولس بعد المسيح بمدة متطاولة فقال لهم: إن الختان ليس بشيء وإن العزلة ليس شيء [٢].

٧ – تعظيم النصارى للصور والتماثيل:

من الشعائر الوثنية التي انتقلت إلى النصرانية عبادة الصور والتماثيل وتبجيلها حتى امتلأت كنائسهم وأديرتهم بتماثيل للمسيح ولأمه وللقديسين وغيرهم وقد وضح ابن تيمية أن اتخاذ الصور والتماثيل مما أحدثه النصارى، فلم يرد ذلك عن أحد من الأنبياء [٣].

وليس في التوراة ما يستند عليه النصارى في اتخاذهم هذه الصور والتماثيل وعبادتها، بل إن فيها النهي الصريح عن ذلك ومنه ما جاء في سفر التثنية: " لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك غيور" [٤]وقد كانت هذه الشعيرة لدى النصارى محدودة النطاق، ثم ما لبثت أن نمت تدريجياً وانتشرت انتشاراً واسعاً ثم أصبحت من ضمن الشعائر النصرانية وذلك عن طريق إقرارها في مجامعهم، خاصة في

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢٠.
(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٥٨٩/٢).
(٣) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح (٣٤٦/١ - ٣٥٠).
(٤) الكتاب المقدس، التوراة، سفر التثنية الإصحاح (٧/٥ - ٨).

المجتمع النيقاوي الثاني نسبة إلى المدينة التي عقد فيها وهي - نيقية - عام ٧٨٧م حيث أصدر قراراً أيد فيه تعظيم صور المسيح وأمه والقديسيين واتخاذها ليس فقط في الكنائس بل وفي البيوت [١]، ولا شك في خطورة اتخاذ الصور والتماثيل وتعظيمها على عقيدة التوحيد. إذ كانت السبب الأول لانحراف البشرية من التوحيد إلى الشرك، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى:{وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: ٢٣]. قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت [٢] وقد كان من ضمن الشعائر الوثنية النصرانية التي ناقشها العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية هذه الشعيرة، قال القرافي: وأكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس وهو من كفرهم القبيح، وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير [٣]، ثم وضح أن ذلك لو كان مشروعاً في النصرانية لسجد التلاميذ للمسيح في حال حياته.

والنصارى بتعظيمهم لهذه الصور والتماثيل مخالفون لتعاليم المسيح ومخالفون لكتبهم فليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك [٤]، وأشار الجعفري إلى أنه لا تكاد تخلو كنيسة من كنائسهم من الصور والتماثيل متسائلاً عن مستند النصارى في ذلك وما هو في الحقيقة

(١) مجموع الشرع الكنسي ص ٦٩ - ٧٠.
(٢) البخاري، كتاب التفسير رقم ٤٩٢٠.
(٣) الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ١٣١.
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ١٣١.

إلا العناد وعبادة الأنداد، إذ الأناجيل ليس فيها ما يدل على مشروعية ذلك، بل إن التوراة تُكفر عابد الصور والمسيح مصرح بأنه لم يأت بالتوراة بل جاء لإكمالها [١].

٨ – حقيقة خوارق العادات لدى النصارى والتي يُلبِسون:

وفي عصر الحروب الصليبية ناقش بعض العلماء المسلمين ذلك لدى النصارى؛ إيقاظاً للعقول الغافلة وكشفاً لتلبيس ضُلاَّلهم؛ أملاً في إزالة عقبة من العقبات المانعة من الهداية وما في ذلك من إقامة للحجة عليهم بزوال ما قد يتعلقون به من هذه الخزعبلات حيث قال الخزرجي مبيناً سبب كثرة هذه الخزعبلات لدى النصارى وموجهاً الخطاب لبعض قساوستهم في الأندلس: (إن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليس له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول الأمة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات[٢] ومن خزعبلاتهم أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قرئ الإنجيل عندها تبكي وتجري دموعها، ويشاهدها الخاص والعام، فيعتقد العامة أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل، ثم وضح حقيقة ذلك وهي أن لهذه الصورة مجار دقيقة في أجوافها متصلة من ورائها بزقٍ مملوء بالماء فيعصره بعض الموكلين بذلك فيندفع الماء في تلك المجاري وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة دموع) [٣].

وبعد أن سرد الخزرجي صوراً من هذا القبيل مبيناً أنه شاهد

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٦٠١/٢ - ٦٠٢).
(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض الإيمان ص ٢٦٧.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣١٠/١).

بعضها وسمع عن البعض الآخر قرر أن هذا الهذيان لا يجوز إلا عليكم أيها النصارى، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم [١]، ومن خزعبلاتهم التي ذكرها القرافي دعواهم أن مريم أم المسيح عليه السلام تنزل على دار المطران بطليطلة في يوم معروفٍ من السنة وهم جازمون بذلك. ثم تساءل القرافي مفنداً ذلك هل نزول أم المسيح بإذن الأب أو بغير إذنه، فإن نزلت بإذنه فلمَ لا يرسل ملائكته ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل أجنبي، وإن كان بغير إذنه فكيف اصطفى الأب لنفسه من يتفرق بغير إذنه [٢]؟ وتتلخص هذه القصة في أنه لما اشتدت الحال بالصليبيين المحاصرين في أنطاكية، جاءهم الغوث من السماء بأن رأى أحد قساوستهم أن أحد الحواريين جاءه في المنام ليريه مكان الحربة التي طعن بها السيد المسيح وأنها في كنيسة أمير الحواريين، حيث فتشوا عنها حتى وجدوها [٣]، فطرحوا عنهم ما كان بهم من الفزع، وتنفسوا الصعداء، وأحسوا أنه قد عاودهم بأسهم من جديد [٤]. بل إن هناك البعض لأجل هذه الحربة رأى رأي العين أشباح الملائكة والرسل [٥]، وعرض ابن الأثير هذه القصة مبيناً أنها من حيل أحد القساوسة التي لبس بها على العامة وصدقوه بها، ثم وضَّح أنه مما زاد فتنتهم بهذه الحربة أن ظهروا على المسلمين في هذه الموقعة [٦]، وهكذا ناقش علماء هذه الفترة شعائر النصارى وطقوسهم مبينين تحريفها وابتداعهم لها، وبطلان

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٦٨.
(٢) الحروب الصليبية، وليم الصوري (٣٢٦/١ - ٣٣٧).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٣١١/١).
(٤) المصدر السابق (٣١١/١).
(٥) الكامل في التاريخ نقلاً عن دعوة المسلمين (٣١١/١).
(٦) دعوة المسلمين للنصارى (٣١٢/١).

ما استندوا عليه في إثباتها، بحيث يتضح لكل عاقل منهم ضلال ما هم عليه بالتمسك بها وممارستها ويدركون مدى تلبيس علمائهم عليهم في تزيينها لهم والادعاء أنها من صلب ديانتهم [1].

* * *

(١) المصدر نفسه.

obeikandl.com